

التطور اللغوي بين الواقع والآفاق

تاريخ استلام المقال: 2015/01/10 تاريخ قبول المقال للنشر: 2017/01/26

أ- جميلة عبيد

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة - الجزائر

البريد الإلكتروني: adjamila31@hotmail.fr

ملخص:

للغة العربية تاريخٌ جيّدٌ، حافظت على كيانها منذ عصور مديدة، لم يصبها الوهن، ولم تدركها الشيخوخة، وظلّت تستجيب لحاجات الناطقين بها، وتستوعب كلّ ما يُستجدّ في حياتهم، فهي لم تلد كاملة، ولم تكن من صنع الفرد الواحد؛ نشأت وتطورت عبر أطوار عديدة لم يدركها عصر التدوين، فهي مرتبطة بالأمة تتأثر بنظامها وتقاليدها، واتجاهاتها ومسارها.

فهي كائن حيّ تام خاضع لناموس الارتقاء وتجدد ألفاظها وتراكيبها على الدوام؛ فهي ظاهرة سيكولوجية اجتماعية وثقافية مكتسبة؛ تتألف من رموز صوتية لغوية عن طريقها تتفاهم أفراد الأمة الواحدة فتتطور أساليبهم التعبيرية لتطور حضارتهم وتتولد مفردات جديدة منها العربية والأصيلة، والدخيلة وضعت في قوالب قديمة لتماشي الصيغ الكلامية المتداولة بين جماعة المتكلمين.

Abstract

Arabic language has a glorious history. It has maintained its existence for centuries, and it has not weakened or aged. It has responded to the needs of its speakers. It has also absorbed all that is new in their lives, because it was not born as complete, and it was not made by a single individual. It originated and evolved through many phases, and it did not see an era of blogging. It is interrelated with the nation, and it is affected by its system, traditions, trends, and track.

It is a fully living organism that is constantly subject to the law of promotion and the renewal of its words and structures. It is an acquired psychological, social, and cultural phenomenon. It consists of phonetic and linguistic symbols through which members of the same nation can understand each other. Thus, their style of expression develop because of the evolution of their civilization, and new words emerge including Arabic, standard Arabic, and exotic words. All these are put in old templates to cope with the verbal formulas that are already exchanged among a group of speakers.

مقدمة:

عاشت العربية في أحضان الفصاحة خالصة لأبنائها نقية سليمة لم يشبها لحن ولا انحراف فاجتهد علماء اللغة من أجل الحفاظ على كيائها الصحيح في ظلّ معايير سليمة، فانصرفت الجهود بالجمع من البوادي، ثمّ الفصل بين الجيّد ضمومه كتباً والردّيء أبعدوه؛ كانت مجهودات موفقةً جديرةً بالتقدير والتعظيم، « فكسبت اللغة بذلك عذوبة في ألفاظها ورقة في أساليبها ودقة في تراكيبها، وخصوبة في معانيها، وقوة في منطقها وحجاجها، فهجرت الألفاظ الوحشية الأساليب القرآنية الراقية، واتسعت دائرة اللغة باستحداث الألفاظ الدينية ». ¹

كما بقيت متماسكة البنيان إلى أن اكتسح الإسلام الأرض شرقاً وغرباً ودخل الناس في دين الله أفواجا وعمّ الاختلاط بين العرب وغيرهم، واتسعت فضاءات الاستعمال ولم تعد السيطرة على تسجيل التغيرات الشاذة، أو الانحرافات اللغوية جراء كلّ التعاملات وبخاصة التفاعل الاجتماعي والاتصال الحضاري الجديد الذي لا يخلو من إشكال أو تعقيد.

فتصدى لها النحاة بالتصحيح والإرشاد وسجلوا كلّ صغيرة وكبيرة خاصة « ما حوته المادة العلمية عن مظاهر اللحن المختلفة التي تدل على دقة التتبع للجزئيات وطول الاستقراء والنظر في اللغة الفصحى، لكن هذا الجهد للأسف لم يؤد دوره الصحيح باعتباره تغيراً في اللغة وتطوراً في عناصرها على مدى العصور، فقد تجاوز النحاة موقف الباحث في وصف الاستعمال المتطور، إلى موقف آخر قاموا فيه بالنص على - ما يجوز وما لا يجوز - فناصروا تطور اللغة العداء واستخدموا في ذلك القواعد التي وتوصلوا إليها من قبل لوضع عناصر التغير في اللغة تحت سيطرتها ثم الحكم عليها بالخطأ». ²

اقتصرت في هذا البحث على حتمية التطور اللغوي الناتج عن الخلاف اللغوي بين المحافظين على اللغة الفصحى، خوفاً من الاندثار وضياح شخصيتها، وبين المؤيدين لظواهر التطور اللغوي الذين ألحقوا بالفصحى التخلف والجمود. ³

وأمام هاتين القوتين يجتهد علماء اللغة لخلق التوازن العادل بينهما ليُنتج عن ذلك تطور هادئ يرتبط بالقدسم وتراثه، ولا يرفض الجديد ومتطلباته. ¹

¹ - علي الجندي، أطوار الثقافة والفكر في ظلال العربية والإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1959، ج1 ص 284، 289.

² - محمد عبيد، المظاهر الطارئة على الفصحى، اللحن، التصحيف، التوليد، التعريب، المصطلح العلمي، عالم الكتب، القاهرة 1980 م، ص 48.

³ - ينظر: حلمي خليل، المولد في العربية - دراسة في نحو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، دار النهضة العربية - بيروت لبنان [د.ت] ص 19.

وإن كان هذا اجتهاد مؤدياً للتطور اللغوي، فما موقف معارضيه؟ كيف يتسنى لنا رصد أهم التطورات اللغوية أمام هذا الخلاف؟.

ومن خصائص اللغة العربية أنها كائن حي يتوارثها أهلها خلفاً عن سلف، وأنها طيعة قابلة للتطور بالرغم من أنها «أُحيطت بسياج حرصا عليها، ومحافظة على سلامتها»²، فوضعوا لها حدوداً زمانية ومكانية ولم يسمحوا للاستعمال الجديد، لأنه لم يُسمَع في عصر الاحتجاج، وعدُّوا كل تغيير في اللغة انحرافاً، إذ بدأت جهود اللغويين القدماء في مواجهة هذا اللحن بدءاً من القرن الثاني الهجري.

أولاً: تعريف التطور اللغوي:

أ- التطور: «هو ما عكس الجمود والسكون، بل هو التحول إلى الأفضل»³.

ب- التطور اللغوي: التطور اللغوي هو تحول اللغة في جميع مستوياتها لتعطي الصورة الجديدة وقد عبر عن ذلك أحد الباحثين بأنه «التغيير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها أو دلالة مفرداتها، أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة أو النقصان الذي يصيبها»⁴، واللفظ هو الوحدة الأساسية من أي لغة ما يصيب الجزء يصيب الكل.

ويرى آخر أن التطور متأصل في حياة اللغة البشرية يرتقي مستعملها برقيتها مصرحاً بذلك أن «التطور أصل أصيل في حياة اللغة بما هي كائن اجتماعي، وأساس التطور هو الوجود البسيط أولاً، ثم النماء المترقي ثانياً، وخلال هذا الانتقال يتكون الكائن مترقياً، ويتغير تغيرات مندرجة»⁵. تشير هذه التعريفات للتطور اللغوي على أنه يفيد النمو والتغيير والتحول إلى الأفضل والأرقى أي انتقال اللغة من طور إلى طور أحسن وأفضل، وفي معنى آخر كان مضاداً، وهو رأي التقليديين من المشتغلين باللغة ينظرون إلى مظاهر التطور على أنها نوع من الخطأ، أو خروجاً عن القواعد الأساسية. ومعنى أخير هو «أن التطور انحراف»، في استطاعة الباحثين رده بالتنبيه وتوجيه

¹ - ينظر: حسن ظاظا، محاضرات في فقه اللغة م- مكتبة كريدية أخوان العام الجامعي 66، بيروت، 1967 ص 24

² - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نخضة مصر، [د.ت] ص 160

³ - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاشي بن آدم، الأشقودري الألباني ت (1420هـ)، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي [د.ت] ج 1 ص 207

⁴ - عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية، مكتبة المنار، ط 1، 1405 هـ، 1985 م، ص 45

⁵ - أمين الخولي، مشكلات حياتنا اللغوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987 م، ص 46

مستعمليه. علماء متأخرون فسروا التطور بالتغير، أو ما لحق اللغة من ظواهر جديدة في فترة زمنية معينة¹.

والتطور اللغوي قسمه الباحثون قسمان: أحدهما: «تطور لا شعوري، يتم في كل لغة وبيئة لا يفتن إليه إلا بعد المقارنة بين عصور اللغة.

وثانيهما: «التطور المقصود المتعمد الذي يقوم به المهرة في صناعة الكلام أو تقوم به المجامع اللغوية لأي هدف مناسب، والتطور المقصود أقل أثارًا في اللغات بوجه عام، ولذلك نراه في الجيل الواحد من الناس، ويشهده المرء خلال حياته القصيرة»².

ثانيا: حتمية التطور اللغوي:

التطور اللغوي ظاهرة اجتماعية، فاللغة تعيش في أحضان المجتمع شأن تطورها شأن باقي الظواهر المرتبطة بحياة الإنسان، وإن كان هذا التطور ظاهرة غير مرغوب فيها إلا أنها أصبحت حتمية يقرّ الباحث عودة خليل أبو عودة «أنّه ليس بمقدور أمة من الأمم أن تُقفَ تطوّر لغة من اللغات أو جعلها يُحمد على وضع خاص، ذلك أن الأمة نفسها لا يمكنها أن تتصف بذلك، حيث تتضافر العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما إلى ذلك في تشكيل البنية العامة للأمة»³.

ثالثا: عوامل التطور اللغوي:

انشغل الناس بالتأليف والإبداع وحصروا اللغة في كتاباتهم وغفلوا عن المنطوق، مما جعل اللغة تنصرف عن استعمالهم، وتتخذ أشكالاً في الأفواه وصورا تتباين باختلاف الأجيال والعصور، أو أن ينحرف الطفل في كلامه بلهجة أبيه، ولم يجد من يعنى بتصحيح هذا الانحراف عن لغة، أو الإبقاء على صورة معينة في الكلام. فأخذت اللهجة مجراها الطبيعي وتغيرت جيلا بعد جيل، فتضافرت الأسباب لتُحلّق فروق خطيرة بين لهجة الكلام واللغة الفصحى، وفاضت المنطوق عن المكتوب الفصيح⁴.

¹ - ينظر: حلمي خليل، المولد في العربية ص 17 و 18 سبق ذكر المعلومات التوثيقية كاملة

² - علي الجندي، أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام، ص 284 - 289

³ - عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، ص 46

⁴ - ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط 9، 1995م، ص 196

أ - أثر العوامل الاجتماعية في خصائص اللغة وتطورها:

تضافرت عوامل اجتماعية كثيرة لتكون دافعا قويا لتغيير اللغة وتطور، كان في ارتقائها» الحاجة إلى كلمة جديدة أو كلمة أقدر من غيرها على التعبير عن المقصود¹، ومنها ما هو مرتبط بالحياة العملية.

أولا - تأثير اللغة العربية بحضارة الأمة:

تنطبع اللغة بطابع الاستعمال اليومي في مفرداتها ومعانيها وأساليبها وتراكيبها، إذ تختلف مظاهر الحياة، وتباين المناطق على اختلاف الأمم تنتج اللغة في نوع الإنتاج، ونظم الاقتصاد وشؤون الحياة المادية، والمهنية السائدة (الزراعة، والصناعة، والتجارة، والصيد، رعي الأنعام، وقد تؤثر هذه المظاهر في أصوات اللغة نفسها. فقد يؤدي نوع العمل الذي يزاوله سكان منطقة ما إلى تشكيل أعضاء نطقهم في صورة خاصة تتأثر بها مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ومناهج التطور الصوتي.²

فاللغة وسيلة للتواصل والتعبير عن الحياة والفكر والحضارة فيها، فكان من الطبيعي أن تتأثر العربية بما يترتب على تلك البقطة العلمية والحضارية والقومية ويتالي تؤثر في عقول المتكلمين.³ كما يحدث في لغة الصحافة من اتساع؛ إذ تشيع كلمات من باب الإبداع، يفرضها الاستعمال على المعجم العربي الحديث، ومنها: تمصير البنوك، وتكويت الوظائف أو سودنتها، وتدويل المشكلة، عربنة الصفقة.⁴

ثانيا- تأثير اللغة باللغات الأخرى :

حصر علماء اللغة عمر العربية الفصحى خاصة في ظل الاستعمال للتراث العربي القلم بين فترتين من الزمن، إذ ازدهرت اللغة في العصر العباسي واستمر هذا الازدهار مع النهضة الحديثة في القرن الماضي، وبعد هذا الزمن اتصل العرب بأمم وشعوب وحضارات أخرى فاعتمدوا على الترجمة⁵؛ التي تعدّ عاملا هاما في حياة أبناء العربية، في عصرهم الذي امتاز بجدّة أوضاعه مما

¹ - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق كمال محمد بشر، القاهرة، 1962 م، ص 152

² - ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة و المجتمع، مكبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ط4، 1403 هـ، 1983 م، ص 13

³ - ينظر: حلمي خليل، المولد في العربية ص 487

⁴ - ينظر: عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، القياس في الفصحى، الدّخيل في العامة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406 هـ- 1986 م

ص 48

⁵ - ينظر: المولد في العربية ص 476

بات من المستلزم الاحتكاك بالأمم الأخرى وتعلم لغاتها لتمكين شباب الأمة العربية من التواصل، والاطلاع على آداب الحضارات الأخرى، واطلاع الآخرين على الموروث العربي، إذ ينعم العربي بميزات لغته عن باقي اللغات فهي: «لاتزال نامية متجددة، تستجيب لحاجات الناطقين بها، وتستوعب ما يُستجد في حياتهم»¹ واللغوي علي وافي لا يحصر التبادل اللغوي بين لغات مختلفة، بل وقد يحدث هذا التبادل بين لهجتين، جاء ذلك في تصريحه أنه «يحدث بين لهجتين، أيا كان سبب هذا الاحتكاك، ومهما كانت درجته، وكيفما كانت نتائجه الأخيرة يؤدي لا محالة إلى تأثر كلّ منهما بالأخرى».² فتلحق الكلمات في انتقالها من لغة إلى لغة أو من لهجة إلى أخرى تغيير أو تحريف؛ فيخصص معناها العام ويقصر على بعض ما يدلّ عليه، وقد يعمم مدلولها الخاص؛ أو قد تستعمل في غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين؛ وقد تنحط إلى درجة وضعية.³

كانت عوامل جبرية، لا خيار للإنسان فيها وليس بإمكانه وقف آثارها أو تغيير ما تؤدي إليه، جلّها أمور عامة يشترك فيها أفراد الطبقة الواحدة ويتميزون بها عن أفراد الطبقة السابقة لهم؛ كالتطور الطبيعي لأعضاء النطق في الفصيلة الإنسانية، إذ إنّ أعضاء النطق في تطوّر طبيعي مطّرد، وللظواهر النفسية منها القوى العقلية التي تختلف من طبقة لأخرى أو من شخص لآخر.⁴

فأصبح التسليم بهذا التطور مُطّرداً لتعذر بقاء أي لغة بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى، فيظهر التأثير في الناحية المتعلقة بالمفردات، حيث تنشط حركة التبادل بين اللغات، ويكثر اقتباسها بعضها من بعض. كالذي حدث بين العربية والفارسية والتركية.⁵

رابعا- أثر العوامل الأدبية.

حاجة الأمم الحضارية إلى ثروة لغوية تقتدي بها المجامع اللغوية العربية، مما دفع الأدباء والعلماء إلى خلق ألفاظا جديدة، رغبة في الإبداع، أو مجانبة الألفاظ المتداولة والمألوفة، أو إبراز المعنى في صورة جديدة وتثنيته في الأذهان مع شيوعه بتدليل سبل انتشار بالإغراب في تسميته، إذ عمّ استخدام طريقة الخلق والإبداع في الأمم الأوروبية منذ القرن التاسع عشر وبخاصة في تسمية

¹ - غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار، عمان، 2004 م ص205

² - علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص252

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 254

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص250

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص250

المستحدث من المخترعات الصناعية والمصطلحات العلمية والأحزاب والمبادئ السياسية والاجتماعية، وفي التعبير عن بعض المعاني الدقيقة في عالم الأدب والفلسفة. وجميع العلوم الطبيعية، والطبية والصيدلية وغير ذلك إذ صُيغت معظم هذه المصطلحات بصيغة دولية، ثم أجازتها المجامع اللغوية.¹

خامسا- أثر البيئة الجغرافية في التطور الصوتي:

الموقع الجغرافي وطبيعته يؤثران في الإنسان ؛ سماته الخلقية وتصرفاته وحتى اللغة ؛ فاللغة تتلون بالطابع البيئي، وفلا ريب أن اللغة في بلد زراعية تختلف عنها في بلد صناعية أو صحراوية أو جبلية أو ساحلية، ويتضح ذلك في البيئة العربية،² فحياة البادية تمتاز بصعوبة ميادينها، لا تعرف الاستقرار، إذ يعتمد سكانها على الجهد العضلي، بخلاف سكان المدن في نشاط مستمر، وفي ظروف حسنة ومن خلال اتصالحهم بغيرهم عن طريق التبادل التجاري والثقافي، فكل من العوامل المختلفة باختلاف أهل البادية، عنهم في المدينة قد تؤثر في المنطوق. بحجة علاقة بكل من من الفتتين "بخصائص الأقاليم الطبيعية إذ تنطبع في لغة سكانها فتنشأ فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء، وسكان الأودية وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية، ومن ثم نشأت فروق بين الفصيلة اللغوية الواحدة بل بين لهجات اللغة.³

في النظام الصوتي، الاستعدادات الفطرية لدى الطفل منذ نشأته محاولة منه أن يقلد والديه ويتعلم منهم فنديرس في تخمينه أن: «أغلب الظن أن استعدادات الطفل الموروثة تلعب دورها في هذا التعلم، ولكن يمكننا أن نقدر دون عناء العوارض التي يمكن أن تعرض لسلامة النطق في كل جيل». ⁴ وذلك عن طريق التعليم والتدريب، أو ما يسمى بتربية الملكة اللغوية، مما يجعل اللغة تسترجع صورتها، وأن تبقى اللغة خاصة المكتوبة في مأمن عن التأثيرات الوراثية .

وقد أشار ابن خلدون لحقيقة التطور الزمني والأثر الذي يتركه في اللغة في فصول شبه مستقلة يتناول فيها هذه القضية وأبعادها ومظاهرها، يقول في بداية فصل من هذه الفصول :»

¹ - ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع ص 44

² - ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ص 258

³ - ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ص 258

⁴ - ج. فنديرس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر مكتبة الأنجلو، المصرية، ص 64

اعلم أن عرف التخاطب في الأمصار وبين الحضرة ليس بلغة مضر القديمة ولا لغة أهل الجبل العربي الذي لعهدنا، وهي عن لغة مضر أبعد».¹

يشير ابن خلدون إلى عهود ثلاثة: عهد لأهل الأمصار والآخر لمضر والثالث لأهل الجبل الحاضر في زمنه، ثم يشير إلى التغيير الذي يلحق اللغة يصرح بقوله: « اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت، ولغة أهل الجبل كلهم مغايرة للغة مضر الذي نزل بها القرآن، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها ».²

رابعاً: خواص التطورات اللغوية:

عن خواص التطور اللغوي حددها العالم اللغوي علي عبد الواحد وافي أهمها:

- 1- أنه يسير ببطء وتدرج، باختلاف الأصوات في جبل عما كانت عليه في الجبل السابق لا يكاد يتبينه إلا الراسخون في العلم بهذا التطور ولكنه يظهر في صورة جلية إذا وزنا بين حالتيهما في جبلين تفصلهما مئات السنين، ولا تختلف بين الآباء والأبناء.³
- 2- يحدث تلقائياً بطريق آلي لا دخل فيه للتواضع، وللإرادة الإنسانية فتحول صوت الثاء العربية إلى تاء (ثلاثة-ثلاثة)، والذال إلى دال (ذراع- ذراع)، والقاف إلى همزة (قالت -ألت)، أو جيم غير متعطشة: (قلت - جلت)، وانقراض الأصوات التي كانت تلحق أواخر الكلمات للدلالة على إعرابها ووظائفها في الجمل نحو: كنتُ أحسبُ أنَّ كتابَ محمدٍ أحسنُ.
- 3- أنه جبري الظواهر، لأنه يخضع في سيره لقوانين صارمة لاختيار الإنسان فيها. إذ اعتمدت جهود جبارة على دعامة من الدين، واجتهدت في سبيل صيانتها ومحاربة ما يطرأ عليها من تحريف، فعلى الرغم من تلك الجهود إلا أنَّ ذلك لم يحل دون تطور أصواتها إلى الصورة التي تتفق مع نوااميس التطور اللغوي، فأصبحت على الحالة التي هي عليها الآن في اللغات العامية.
- 4- أنه في غالب أحواله مقيّد بالزمان والمكان، هذا لأن معظم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص. إذ لا يمكن لصوت أن يتطور في لغة ويلحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة. كتحويل صوت القاف إلى همزة إلا في بعض المناطق الناطقة بالعربية.

¹ ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 7، 1409 هـ، 1989 م، ص 558

² المصدر نفسه، ص 559

³ - ينظر علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نخضة مصر، ط 9، 2004 م، ص 285

5- أنه اذا لحق صوتا معينا في بيئة ما ظهر غالباً في جميع الكلمات المشتملة، على هذا الصوت وعند جميع الأفراد الذين تكتنفهم هذه البيئة. القاف تُحوّل إلى الهمزة فتُنطق قال " آل"، وتلحق كلّ المفردات المحتوية على القاف إذ يتحول صوتها إلى الهمزة نحو : قمر يتحول إلى أمر وغيرها من المفردات .¹

خامسا : مجالات التطور اللغوي:

فقد يكون التطور خاصا بالأصوات أو بنية الكلمة أو دلالتها، وإن كانت هناك فرق بين عناصرها في سرعة قبول التطور. إذ يمتاز النظام الصوتي بالاستقرار في مرحلة الطفولة، يستمر في حياة الانسان ؛ وقد يحدث فيه تغيير أو تطوير نتيجة التعليم، أو التلقين للغة غير لغته أو نتيجة الاحتكاك بالناطقين غير لغته فتتأثر الأصوات. أمّا النظام الصرفي فهو ثابت، يستقر في حياة الفرد ولا يتغير إلاّ بالانتقال من جيل إلى آخر. بخلاف نظام المفرداتي الذي لا يستقر على صورة، هذا لأنه يتبع ظروف المتكلمين بمداومة على الاستعارة ممن يحيطون بهم، إذ تمتاز مفرداتهم بحركة دائمة بين الزيادة والنقصان والتغيير.²

التغيرات الصوتية التاريخية:

تنقسم التغيرات الصوتية إلى قسمين :

التغيرات التاريخية : وهي التغيرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي، أي ان يصير الصوت اللغوي صوتا آخر في جميع سياقاته.

من أمثلة التغيرات التاريخية في الأصوات تطور (الباء) پ المهموسة (p) في اللغات السامية الأم، إلى فاء في اللغات السامية الجنوبية وهي العربية، مهموساً . مثال ذلك فكلمة " پول" (pol) في العبرية أصبحت " فول" (fol) في العربية و" فال" في الحبشية.³

وانحلال صوت الجيم إلى أحد عنصرها المكونين له في اللهجات العربية، فينطق كالدال في صعيد مصر فننطق مدينة "جرجا" "دردا" ويقولون في "جمل" "دمل"، وفي "جاموسة" "داموسة" أو إلى الشين المحصورة، وهو المكون الثاني للجيم، وقد ضاع منها الجهر، فصارت شينا مهموسة، كالشين الأصلية في العربية، فقد روي عن قبيلة تميم أنهم كانوا يقولون في المثل : شرٌّ أشاءك إلى

¹ - ينظر المرجع نفسه، ص 285، و286 و287

² - ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهر وعمله وقوانينه - مكتبة الخانجي - القاهرة، ط2-1410 هـ- 1990 م ص 15

³ - المرجع نفسه، ص23

مُحَّةٌ عُرُوبٌ بدلا من "أجاءك".¹

القاف صوت مهموس يقلب كافاً عند تميم قشطت، تقول تميم كشطت، ففي العبرية مثلا kōl بمعنى "الصوت"، وفي الآرامية.²

2- التغيرات التركيبية: تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها البعض.³

أ - التطور الصوتي:

يعرفه عبد الصبور شاهين: «كلمات اللغة تتألف من أصوات ينسجم بعضها مع بعض».⁴

ظواهر التطور الصوتي:

أولاً: تفاعل الأصوات : ويتأثر الصوت اللغوي بما يجاوره قبله أو بعده من حروف، فيحدث انسجاماً، وتألّفاً لتنتج ألفاظاً جديدة، يقول فندريس: «في كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، فهي تكون نظاماً متجانساً مغلقاً تنسجم أجزاؤه كلها فيما بينها، هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات، وهي ذات أهمية قصوى لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من الأصوات».⁵ و«أن الانسجام والتألف يقتضي بعض التبدلات الصوتية باختلاف الناطقين وبيئاتهم، وتبعاً لنواح طبيعية فسيولوجية ونفسية معا».⁶

وهذا يشمل ما يسمى بالمماثلة والمخالفة والتناوب بين الأصوات:

1 - المماثلة: حيث تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجملة فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات، وذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها في المخارج والشدة والرخاوة والجره والهمس والتفخيم والترقيق وما إلى ذلك، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو

¹ - المرجع نفسه، ص 24، 25، و 26

² - المرجع نفسه، ص 28

³ - ينظر: المرجع نفسه ص 28

⁴ - عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي-مؤسسة الرسالة، بيروت - ط 2 - 1405 هـ - 1985 م - ص 72

⁵ - فندريس، اللغة، ص 62

⁶ - المرجع نفسه ص 91

من مخرجين متقارنين وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلاً حدث بينهما شد وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو في بعضها.¹ فحروف الهجاء منها ما يأتلف ومنها ما يختلف، ولا بد من تحقيق التآلف بين الحروف عند تركيب الكلام حتى يتحقق الانسجام الصوتي فتتمكن أعضاء النطق من التفوه به، فإذا تجاور حرفان متنافران غير أحدهما ليقترب من الآخر ويتحد معه مخرجاً أو صفة « وهذه الظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه ».²

للتماثل بين صوتين نوعان:

أ - أن يتأثر الأول منهما بالثاني فهو تأثير رجعي (regressive) .
 ب - أن يتأثر الثاني بالأول، فهو تأثير تقدمي (progressive)³، أو ما يسميه بعض اللغويين المقبل ومنه :

أ - التأثير المقبل الكلي: المقبل الكلي إذا اتفق الصوتان صفة ومخرجاً، فيدغم نحو: أن تتأثر تاء افتعال بالذال أو بالطاء قبلها، فتقلب ذالا، أو طاء مثل: اذكر لتصبح " اذكر "، واطلب " اطلب ". أو أن تتأثر بالذال أو بالصاد أو بالضاد فتقلب ذالا نحو: اذكر تصبح اذكر، أو اصبر تصبح اصبر، أو اضجع اضجع.⁴

كما تتأثر الواو الساكنة بالكسرة قبلها فتقلب ياء تناسبا مع الكسرة مثل: مؤزان.⁵

ب - التأثير المقبل الجزئي:

تتأثر تاء افتعال بالصاد أو بالزاي قبلها، فتقلب طاء أو ذالا نحو: واصتبغ تصبح اصطبغ، وازتجر تصبح ازجر. انقلبت التاء في الاول إلى لطاء لأنها من نفس مخرجها والطاء تحمل نفس الصفات للصاد.⁶

تتأثر تاء الافتعال بالجيم فتقلب تاء الافتعال ذالاً مثل : اجتمع، واجتزرت تصبح " اجدمع "، و" اجدز ".

¹ - رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، ص 30

² - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 145

³ - ينظر: المرجع نفسه ص 109

⁴ - رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، ص 32

⁵ - ينظر: المرجع نفسه

⁶ - ينظر: المرجع نفسه ص 35

تتأثر التاء بالأصوات المجهورة قبلها فتتقلب ذالاً مثل: "يجذو" أصلها "يجثو" تلعدم أصلها "تلعثم". ويقول ابن جني في ذلك أن "يجثو"، و"يجذو" لغتان لم يحدث فيها إبدال صوتي.¹

ج- التأثر المُدبر الكلي :

-تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف بقاء الفعل إن كانت صوتاً من الأصوات الصغرى، وذلك عند بناء الفعل على صيغتي "تفَعَّل، وتفاعَلَ". مثل :

"يَذْكُرْ، اذْكُرْ" أصلها "يتذكر، اذكر" فتأثرت التاء بما بعدها وهي الذال، فأثرت الذال على التاء وحوَّلَتْها من الهمس إلى الجهر، فأصبحت التاء ذالاً. وكذلك "يَنَاقِلْ" أصلها "يتناقل" لأن ثَقُلَ بني على "افعل"، فهنا تأثرت التاء بالتاء بعدها وتحولت إلى تاء.²

- تتأثر النون بالميم التي تليها في (إِنْ، أُنْ، مَنْ، عِنْ) عندا تأتي الميم شفوي، فالتحول حدث بانتقال المخرج. فصارَت النون ميماً بعدها أدوات تبدأ بالميم مثل "ما" الموصولة. (إِنَّمَا، أَمَّا، مِمَّا، عَمَّ)، فالأصل فيما سبق هو (إِنَّمَا، أَمَّا، مِمَّا، عَمَّا) فتأثرت النون بالميم، وقلبت مما هذا لأن النون أسناني لثوي، والميم شفوي وأدغمت الميم في الميم.³

2- قانون المخالفة. (Dissimilation)

قانون المخالفة يسير عكس قانون المماثلة، إذ يعتمد على إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، وغالبا ما يحدث مع الأصوات المتوسطة، أو المائعة وتمثيلاً لذلك: بكلمة "شمس" العربية، فهي في الأصل في اللغات السامية الآرامية، العبرية، والآكادية "شمش"، فمن المفترض أن تقلب الكلمة في العربية سينا "سمس"، إلا أن المخالفة الصوتية بين السينين أدت إلى تحول الأولى شيئاً. في إِنْحَاص "إنحاص" اترَجَّ "اترنج"، وفي "إِنْجَانَة" "فالجيم المضعَّفة عند فك إدغامها تحولت الأولى إلى نون. "يزيدون النون في هذه الكلمات فيقال اترَجَّ، وإِنْجَانَة، وإِنْحَاص، هذه الأحرف بإسقاط النون.⁴

¹ - رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، دار المعارف - مصر - ط1، ص36

² - ينظر: المرجع نفسه، ص39

³ - ينظر: المرجع نفسه ص40

⁴ - ينظر: المرجع نفسه ص58

ثانياً- التيسير اللغوي:

إذ تميل اللغة في تطوّرها نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة، ونستبدل بها أصواتاً أخرى لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً كما أنها تحاول أن تنفّذ تلك التفرّيعات المعقدة.¹ من مظاهره:

1 - ظاهرة الهمز :

من المتعارف عليه أن الهمزة صوت عسير النطق، لأنه يتمّ بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثمّ انفراج هذه الأوتار فجأةً فهي عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير مما يدفع لتخلص منها في بعض اللهجات العربية والحديثة، وبعض العاميات الحديثة، مثل "باط" في "آباط" "دان" في "آدان" و "سنان" في "أسنان"، و "سبوع" في "أسبوع"، و "براهيم" في "إبراهيم"، والشائع في زمننا إسقاط الهمزة من "أبو" مثل "بورياح" عن "أبو رياح"، و "بومدين" عن أبو مدين.²

— وقوع الهمزة في وسط الكلمة يعرضها لكثير من صنوف التطور والانحراف، فمن ذلك ما حدث في اللغة العربية بصدد الهمزة الساكنة الواقعة في وسط الثلاثي فقد تحولت إلى ألفٍ لينة في عامية المصريين وغيرهم (فيقال: راس، فاس، فال، ضان.. بدلاً من رأس، فأس، فأل، ضأن، وكذلك تحريك الحرف الساكن إذا وقع في وسط كلمة ثلاثية في كثير من لهجات البلاد العربية فيقال مثلاً: اسم، رسم، مصر، بدر، فجّل... إلخ، بدلاً من اسم، رسم، مصر، بدر، فجّل.. إلخ³

2 - ظاهرة انكماش "diphthong": فهي ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير إذ يتحول الصوت المركب (aw) إلى (o) في مثل كلمة "يَوْم"، "صَوْم"، "نَوْم" من "يَوْم" و "صَوْم"، ونَوْم". كما يتحول الصوت المركب (ay) إلى كسرة طويلة ممالأة (ē) في مثل "بيت" و "ليل" و "عين" بدلاً من بَيْت، ويَوْم و صَوْم؛ كان هذا التحويل من باب تيسير النطق.⁴

¹ - ينظر: المرجع نفسه ص75

² - ينظر، لحن العامة والتطور اللغوي ص 76

³ - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط3، 2004 م، ص110

⁴ - ينظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 78-79

3 - ظاهرة اندثار الأصوات الأسنانية :

من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة اندثار الأصوات الأسنانية هي ذ،ث، وظ مخرجها من طرف اللسان، ووضعه بين الأسنان ينطق بالذال العربية "دالا" في لغة الكلام المصرية، وأحيانا "زايا" مثل: "ذهب" بدلا من "ذهب"، و"زكر" بدلا من "ذكر"، و"زُل" بدلا من "ذُل". الذال في الحالتين انتقل مخرجها قليلا إلى الراء، غير أنه في الحالة الأولى أصبح صوتا شديدا، وفي الثانية احتفظت برخاوتها. كما تنطق "الثاء" "التاء" في كلمة "توب" بدلا "توب" أو السين في مثل "سابت" بدلا من "ثابت".¹

- كما تحولت السين إلى صاد في بعض المواطن ("ساخن" تحول إلى "صاخن" في عامية الشرقية وغيرها)، والصاد إلى سين في كثير من الألفاظ في عامية القاهرة وغيرها (فبدلاً من يصدق، مصير.. إلخ) يقال يسدق، مسير، والضاد إلى طاء في عامية المغرب وخاصة طرابلس، (فبدلاً من: وضوء، يضيّع، يضم.. إلخ، يقال وضوء، يظيّع، يظم.. إلخ) والعين إلى نون في بعض الكلمات في لهجة العراقيين (فيقال مثلاً "ينطي" بدلاً من "يعطي") واللام إلى ميم في بعض الكلمات في عامية القاهرة ("امبارح" بدلاً من "البارحة" وفي عامية المصريين تقلب الميم إلى نون (فيقال "فاطنة" بدلاً من "فاطمة") وهلم جرا.²

4 - القضاء على التفرعات: يحدث في اللهجات العربية الحديثة، وبخاصة لعلامات التأنيث؛ فهي ثلاث علامات: التاء، والألف المقصورة، وألف المدودة، والثانية والثالثة ضاعتا في اللهجات وحلت محلها التاء كأن نقولك "حمره" "بيضه" "صحراه" "عميه" "مينه" و"عرجه" من "حمرأ" "بيضاء" "صحراء" و"عمياء"، و"ميناء" و"عرجاء" و"حبله"، "سلمه"، "عدوه" من "حبلأ"، "سلمأ"، و"عدوأ".³

5- القلب المكاني: هو عبارة عن تقلب بعض أصوات الكلمة عن بعض لصعوبة تتابعها الأصلي، وهي ظاهرة يمكن تحليلها بنظرية السهولة والتيسير، وتسمى هذه الظاهرة "بالنقل

¹ - ينظر المرجع نفسه، ص83، وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نخضة مصر، مصر، [د.ت] ص 136

² - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة ص111

³ - ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 86-87

المكاني"، ومن ذلك ما حدث مثلاً في كلمة "أرانب" إذ تحولت في عامية القاهرة وغيرها إلى "أنارب"، "زوج" و"جوز"، و"جبد" و"قلب" "جذب"، و"لج" و"لجز"¹

6- تناوب الأصوات وحلول بعضها محل بعض: وقد تتبادل الأصوات مواقعها في الكلمة ويحل بعضها محل بعض، فيتقدم المتأخر منها ويتأخر السابق.²

وفيما عدا الحالات السابقة قد لوحظ أن الأصوات المتحدة النوع تتناوب ويحل بعضها محل بعض، وقد سجل الباحثون ظواهر كثيرة بهذا الصدد بعضها خاص بأصوات اللين وبعضها يتعلق بالأصوات الساكنة.

أما تناوب أصوات اللين فلم تكد تخلو منه لغة من اللغات الإنسانية، ففي اللغة العربية حدث تناوب واسع النطاق بين أصوات اللين القصيرة التي يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة، ويمثل هذا التناوب انقلاباً من أهم الانقلابات التي اعتورت هذه اللغة، فالفتحة قد استبدل بها الضمة أحياناً والكسرة في كثير من الأحوال فبدلاً من أن: يقوم، يسجد، تسمع، سكت، كبيرة.. إلخ، يقال في عامية المصريين يقوم، يسجد، يسمع، سكت أو سكت، كبير... إلخ، والكسرة قد استبدل بها الضمة أحياناً والفتحة في كثير من الأحوال (فبدلاً من: يلطم، يضرب، يسرق... إلخ) يقال في عامية المصريين يلطم، يضرب، يسرق... إلخ) والضمة قد استبدل بها الفتحة أحياناً والكسرة في معظم الحالات (فبدلاً من: محمد، ثعبان، يذم، ظفر... إلخ) يقال في عامية المصريين (محمد، ثعبان، يزم، ظفر... إلخ).³

التطور الدلالي :

يعد التطور الدلالي الجانب المهم من الدرس اللغوي خاصة، وأن الكلمة مطاطة تتسع وتضيق استخداماً حسب الظروف، والحاجات. ارتكزت الدراسات على التغيرات التدريجية والمتعاقبة التي تحدد دلالات الألفاظ بمرور الزمن، وتبدل الحياة الإنسانية.⁴

¹ - ينظر : المرجع نفسه ص 88 و 89

² - ينظر علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة ص 81-82

³ - ينظر المرجع نفسه ص 111

⁴ - عبد الكريم محمد حسن جيل، في علم الدلالة - دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفصليات، دار المعارف الجامعية ص 33

أولا - مفهوم التطور الدلالي:

كانت اللغة من أهم ما شغل علماءها لفظا ومعنا، وبمرور الزمن تغير المعنى بتغير السياقات، وقد انصبَّ اهتمامهم بالمعنى مهمشين المفهوم الدلالي ومساره التاريخي وإن كان هذا المصطلح متجذرا في الدراسات اللغوية إلى العصر الحديث تنبأه علماء اللغة المحدثين واصطلحوا عليه بـ "علم الدلالة التاريخي" وقد أوضحه أحمد عمر مختار في تصريحه «علم الدلالة التاريخي» *Semasiologie*، وكان أهم ما شغل علماء اللغة موضوع تغير المعنى، وصوره، وأسباب حدوثه، والعوامل التي تتدخل في حياة الألفاظ، أو موتها»¹.

ويضيف اللغوي أحمد عمر مختار: «بأنه تغير المعنى (changement des sens) وهو جزء من التطور اللغوي الذي يشمل قطاعات اللغة الرئيسية، وهي الأصوات، والصرف، والنحو، والمفردات»²؛ ولیدخل التطور اللغوي حيز التنظير أشار إليه أحد الباحثين بأنه «أصبح التطور اللغوي نظريةً أساسيةً من نظريات العلوم، خاصة وإن كان منشؤه علم الطبيعة ذلك لأن المعارف في القرن الماضي تأثرت أي ما تأثير بعلم الحياة البيولوجيا»³، فقاد هذا الزعم بأن «اللغة كائن حي له طبيعته الذاتية، وأنَّ تطور اللغة محكوم بقوانين ثابتة كالقوانين التي تحكم مظاهر التطور الأخرى في الطبيعة»⁴.

ثانيا - أسباب التطور الدلالي:

كما تشير بعض الدراسات إلى أن التطور الدلالي له علاقة بكل ما يتصل باللغة كالأسباب الصوتية، والصرفية، والاشتقاقية، والنحوية، والسياقية التي تظهر في مدار الاستعمال أهمها:

1- التقارب الصوتي: يحدث بين كلمتين مختلفتين غالبا ما يؤدي إلى نتج كلمة واحدة ذات معنيين تقارب الصوتي بين كلمات تختلف معانيها غالبا؛ ما تغدو لكثرة الاستعمال للكلمة الواحدة ثلاث صور مما يؤدي إلى الاشتراك⁵. نحو: (هجر) عن ابن منظور الهجر المغيب أيًّا

¹ - أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988م، ص235

² - أحمد محمد قدور، مصنفات الدفن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر هجري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996م ص296

³ - عبد القادر سلاحي، الجوانب الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده ت 458 هـ، دكتوراه دولة في اللغة، 1422هـ، 1423 هـ، 2001 م، 2002م ص160

⁴ - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، ط 2، 1419 هـ، 1999 م ص322

⁵ - ينظر أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ص326

كان، والهجر الفحش والتخليط، وعن تعريف الحديث هجر سار في الهاجرة والنهار انتصف واشتدَّ حرّه.¹

2- الأسباب الاشتقاقية : تسهب الأسباب الاشتقاقية التي تنتج عن مجانسة الأصول في إبراز أمثلة من تغير الدلالة . خلط بين أصلين من أصول الاشتقاق يقود إلى تقريب معنى أحدهما إلى الآخر توهماً؛ ومن ذلك معنى قولهم " ضربه فأشواه " ضربه فأصاب شواه، والشوى : أطراف الجسد كاليدنين والرجلين، وقحف الرأس، وظاهر الجلد : واحدته شواة. لكن ابن مكي ينقل عن أهل عصره أنهم يعنون بذلك ضربه فأحرقه، كما يشوي اللحم على النار.² والسبب هو تقارب الكلمتين " شوى " بمعنى أحرق، و " شوى " أطراف الجسد جمعه " شواة".

3- الأسباب النحوية والموقعية السياقية: التي تسهم في التطور الدلالي، قد تنشأ عن كثرة الاستعمال للفظ الواحد في مواضع مختلفة، أو ما عبر عنه أحد اللغويين بانحراف الألفاظ عن معانيها نتيجة مجاورتها لألفاظ معينة في سياق معين³. من ذلك كلمة "عهد".

عهد تعني أول المطر، والعهد يعني الزمان الغير محدد، وقد يتحدد بالاقتران بصفة أو شخص، وقيل إنّ العهد ما ذهب من الزمان، والمعهود ما كان بالأمس، والموعود ما يكون في الغد، ومن ذلك طال عهده⁴ عن قول الله تعالى: ﴿أَمْ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾ (*) دلت على أمر الله لعبده، وعن قوله تعالى: ﴿وَعْهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (**) دلت على التوصية بطريق الأمر، وجعل بعضهم العهد بمعنى الموثق، وهو الذي يتعاهد عليه الناس فيما بينهم، فأصبح العهد بمعنى الميثاق والوفاء، والضمان، والأمان.⁵

4- الأسباب الاجتماعية: كما تضافرت العوامل التاريخية والاجتماعية، والنفسية، والبيئية والاقتصادية في التغير الصوتي، ساهمت في تغير المعنى للكلمات المتبدلة، إنّ التقدم الزمني، والانتقال

¹ - ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج5 دار المعارف، القاهرة، (هجر) ج 5 ص 98

ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون ج 2، مطابع دار المعارف، القاهرة، ط2، 1392 هـ، 1972 م، ج 2 ص 982

² - ابن حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي 501 هـ، تنقيف اللسان وتنقيح الجنان، ضبطه مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، 1410 هـ، 1990 م، ص 248

³ - محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية - ط5 - دار الفكر - 1392 هـ - 1972 م - بيروت ص 213

⁴ - كريم زكي حسام الدين، الزمان الدلالي - دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية، دار والنشر والتوزيع للطباعة غرب، القاهرة، 2002 م ص 126

⁵ - الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، ج2 دار صادر، بيروت.

(عهد) ج 2 ص 422 والوسيط 634/2 (*) - ياسين 60 (**) البقرة 125

من عصر إلى آخر غالبا ما يؤدي إلى تنقل الكلمات، وتغير مدلولها نتيجة تطور في الحياة الاجتماعية التي تلمس الإنسان من قريب، أو بعيد. الدكتور إبراهيم أنيس رد أسباب التطور الدلالي إلى عاملين اثنين:

أ - الاستعمال: ضم فيه مجموعة من العوامل الداعية إلى التغيير، أو التجاوز، ومن ثم التطور.

1- سوء الفهم: حين يسمع اللفظ للمرة الأولى فيسيء فهمه، ويوحى إلى ذهنه دلالة غريبة لا تكاد تمت إلى ما في ذهن المتكلم بأية صلة، ويبقى اللفظ مرتبطا بتلك الدلالة، ويشيع بين أفراد كلهم يسيئون فهم الدلالة بطريقة واحدة.¹ مما يؤدي إلى انحراف دلالة اللفظ عن مساره المألوف إلى آخر بعيد عنه.

2- بلى الألفاظ: يصيب بعض الألفاظ تغيير في الصورة ويصادف بعد ذلك أن يشبه لفظا آخر في صورته فتختلط الدالتان ويصبح اللفظ مما يسمى بالمشارك اللفظي،² عن اللسان: سبد شعره إذا حلقه ثم نبت منه الشيء اليسير، وقال أبو عمرو سبد شعره وسبده استأصله، ويقال: التسيد حلق الرأس فنبت بعد أيام شعره فذلك التسيد وأسبده، وسبته وأسبته وسبته إذا والسبت والسبات أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه أي جعلنا نومكم راحة لكم. والسبت من أيام الأسبوع وإنما سمي السابع من أيام الأسبوع سبتاً لأن الله تعالى ابتدأ الخلق فيه وقطع فيه بعض خلق الأرض؛³ فالكلمتان يعينان القطع لتغيير الدال بالتاء أصبح اللفظ السبت يدلّ على أكثر من دلالة.

3- الابتذال: يترتب عن هذا العامل انحطاط الدلالة، أو أن تتروى الكلمة، فلا تجري على الألسنة، ولا ترد في الاستعمال مثل كلمة "خش" بمعنى "دخل" مبتدلة رغم أنها عربية صحيحة فجرت على ألسن العامة، والجهالة أو السفلة من القوم ووصفوها بهذا الوصف.⁴

ب - الحاجة: إذ يرتبط أمر التطور الدلالي في حقيقته بالحاجات الاجتماعية والنفسية، وبالظروف المحيطة بكل جماعة منها، وما تزاوله كل طبقة من أعمال أو وظيفة،⁵ «تغير الناس في

¹ - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1976، ص 134

² - المرجع نفسه ص 138

³ - لسان العرب (سبت) 42/2

⁴ - ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص 140

⁵ - علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 11، 2006 م، ص 325

حياتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم بارز في مختراعاتهم، وما جد عليهم من صناعات، وعلوم جديدة، وما يجاريه من تطور في مدلول الألفاظ».¹

حاجتنا إلى إنشاء مصطلحات تخدمنا في الحياة العملية، والعقلية، فغالبا ما يلجأ الواضع إلى استخدام مفردات في غير ما وضعت له، أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم أو أعمالهم،² وتمثيلا لذلك بكلمة الأطلس في الاستعمال القديم هو الحبشي نسبة إلى شمال إفريقية، وفي الحديث أصطُلِحَ عليه على أنه : الأطلس وهو مجموع مصورات جغرافية لشمال إفريقية، يصور على هيئة جبار يحمل السماء، أو الكرة الأرضية .³

ثالثا - مظاهر التغير الدلالي:

قعد علماء اللغة للتغير الدلالي، ووضعوا له قوانين تحدد نوع التغير فاعتمدوا على التقسيم المنطقي، ويظهر هذا التقسيم عند المقارنة بين المدلولين القديم والحديث،⁴ فتبين أنّ المعنى القديم أوسع من الجديد، أو أضيق منه، أو مساويا له⁵ فصنفوا هذه التغيرات في مجالات ؛ تتحدد فيها أهم التغيرات الدلالية وهي على : القسم الأول الذي يشهد التطور بين المحسوسات، وذلك بالاتساع، أو التعميم أي نقل اللفظ من المعنى الخاص إلى معنى أعم، وأشمل.⁶ نحو ذلك : كلمة الخالص تطلق على اللبن، والخالص، عن الأزهري : كلُّ شيء خلص حتى لا يشوبه شيء يخالطه، فهو محض، وفي التعريف الحديث أصبح المحض يدلّ على كلِّ شيء لم يخلطه غيره.⁷

أو التخصيص عرفه السيوطي: «التخصيص يدلّ على تضيق المعنى، تمثيلا لذلك بلفظة " السبت" في لغة الدّهر ثمّ خص في باستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من أفراد الدهر».⁸

1- رقي الدلالة: هو نوع من التغير يطلق على ما يصيب الكلمات التي كانت تشير إلى معان "هينة"، أو «ضئيلة»، أو "ضعيفة" نسبيا، ثمّ صارت تدل في نظر الجماعة الكلامية على

¹ - أحمد عبد الرحمن حامد عوامل التطور اللغوي، ص 120

² - ينظر علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ص 325

³ - الوسيط (أطلس) 20/1

⁴ - ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ص 330

⁵ - ينظر: أحمد عبد الرحمن حامد ،عوامل التطور اللغوي ص 124

⁶ - ينظر: محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية ص 219

⁷ - اللسان (محض) ج 7 ص 256 والمنجد ص 749

⁸ - السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللغة العربية، تحقيق، محمد أحمد حامد المولى، ومحمد أبو الفضل، وعلي البحايوي، مكتبة دار التراث، ط 3

معان" أرفع" أو "أشرف"، أو "أقوى".¹ تمثيلاً لذلك بكلمة الجذر(رصد) الذي كان يدلّ على نزول المطر قبل أوانه، وأعلى ظهور النبات في أول مطر الربيع، فاشتركت اللفظتان في ظهورهما باكراً أو قبل الأوان، كما دلّت على الحرس، والمراقبة لترقى الدلالة إلى اسم اصطلاحه الفلكيون لموضع تعين فيه حركات الكواكب.²

2- انحطاط الدلالة: تغيير دلالي معاكس لرقى الدلالة، بحيث يتغير معنى اللفظ للعزف من : قوة وسمو وتأثير في الأسماع إلى معنى ضعيف مبتذل مثالا على ذلك: كلمة الطبل :بمعنى الخلق والناس . وكما أطلق اللفظ على أردية كان يلبسها أمراء مصر، وفي العرف (الطبل) آلة يشد عليها الجلد ونحوه ينقر عليه وأغلب ما كانت عندهم :الحديث بوجهين، واستعملت فيما كان ذا وجه واحد.³

يشبه العلماء اللغة العربية بالكائن الحي، لمطاوعتها، وقابليتها للتفاعل مع تغيير الزمن، فهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع، وتمارس على ألسنة المتكلمين تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه، فتتطور بتطوره، وترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه.

خاتمة:

كانت هذه جولتنا في رحاب البحث اللغوي من أجل رصد أهم الظروف التي كانت أكثر تحملاً على اللغة للتغيير، وإنّ كان التطور اللغوي من أهم العوامل الفاعلة والمنفصلة يقود إلى الإثراء اللغوي، والمعربي.

فالبحت تتسع له الكتب، اقتصرناه على أهم العوامل الدافعة لذلك لنقف عند أهم النتائج

1. صناعة معجم تاريخي للغة العربية مع رصد المفردة وتقلباتها شكلا ومعنا مع ذكر أهم التغيرات اللاحقة بها حسب التسلسل الزمني.

2. ضبط اللهجات بقواعد ثابتة للفصل بين الصورة الفصيحة والصورة المستعملة في لهجة ما.

3. الفصل بين الفصحى واللهجة، وتسجيل أهم التغيرات اللاحقة بمفردات كلّ منهما حتى يتسنى للباحث الحفاظ على اللغة الفصحى دون المساس بشكلها الصحيح.

¹ -ينظر: محمود السعوان، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، القاهرة، 1962م، ص 183

² -الوسيط (رصد) ج 1 ص 348

³ - الوسيط (طل) ج 2 ص 551

علي الجندي، أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام، مكتبة الأنجلو - المصرية، ط 1، 1959 ج 1، ص 284 - 289 .

-المصادر والمراجع-

1. إبراهيم أنيس، في اللهجات، مكتبة الأنجلو، المصرية، القاهرة ط9، 1995م.
2. الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة، مصر، [د.ت]
3. دلالة الألفاظ المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1976.
4. إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطابع دار المعارف، القاهرة، ط2، 1392 هـ، 1972 م.
5. ابن حفص عمر بن خلف بن مكّي الصقلي (501هـ)، تثقيف اللسان وتنقيح الجنان، ضبطه مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1410 هـ، 1990م.
6. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط7، 1409 هـ، 1989 م
7. أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988 م.
8. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، ط2، 1419 هـ، 1999 م.
9. مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر هجري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996 م.
10. أمين الخولي، مشكلات حياتنا اللغوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987 م
11. ج. فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر مكتبة الأنجلو - المصرية
12. حسن ظاظا، محاضرات في فقه اللغة، مكتبة كريدية اخوان العام الجامعي، بيروت، 1967 م
13. حلمي خليل، المولد في العربية، دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان
14. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة. ط2، 1410 هـ، 1990 م
15. لحن العامة والتطور اللغوي، دار المعارف، مصر. ط1
16. الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، دار صادر، بيروت.
17. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق كمال محمد بشر، القاهرة، 1962 م
18. السيوطي جلال الدين، المزهري في علوم اللغة العربية، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل، علي البحراوي مكتبة دار التراث، ط3.
19. عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، القياس في الفصحى، الدّخيل في العامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2-1406 هـ-1986 م
20. عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405 هـ، 1985 م.
21. علي الجندي، أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام، مكتبة الأنجلو، المصرية، ط1.

22. علم اللغة، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 11، 2006 م.
23. اللغة والمجتمع، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ط 4، 1403هـ، 1983 م .
24. فقه اللغة، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 2004، 3 م
25. عودة خليل عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية، مكتبة المنار، الزرقاء، لبنان، ط 1، 1405 ، 1985 م.
26. عبد القادر سلاّمي، الجوانب الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده ت 458 هـ، دكتوراه دولة في اللغة 1422هـ، 1423 هـ، 2001 م، 2002 م.
27. غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار، عمان، 2004 م.
28. فندريس. ج، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية [د.ت].
29. كريم زكي حسام الدين، الزمان الدلالي -دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية، دار النشر والتوزيع للطباعة غريب، القاهرة، 2002م
30. عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة -دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعارف الجامعية.
31. محمد عيد، المظاهر الطارئة على الفصحى، اللحن، التصحيف، التوليد، التعريب، المصطلح العلمي، عالم الكتب، القاهرة، 1980م.
32. محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، ط 5، 1392 هـ، 1972م.
33. محمد ناصر الدين الألباني الجامع الصغير، المكتب الإسلامي (د.ت)
34. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، القاهرة، 1962م.
35. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
36. هاشم إسماعيل الأيوبي وآخرون، أبحاث عربية في كتاب التكرمي للمستشرق الألماني فولد بترش فيشرط 1994، 1 م.